﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [ص: 82 - 83]

❁ مُناسَبَةُ الآيتَينِ لِما قبلَهُما:

بيانُ عزمِ إبليسَ على الإفسادِ بعدَ إنظارِهِ

لمّا أخبرَ اللّهُ تعالى عن إنظارِ إبليسَ تشوَّفَ السّامعُ لمعرفةِ ما سيفعلُهُ إبليسُ؛ فجاءَتْ هاتانِ الآيتانِ لبيانِ عزيمَتِه على الشَّرِّ والإغواءِ والإفسادِ[1]، ولبيان مَن يَنجو منها من بني آدم.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿لَأُغْوِيَنَّهُمْ﴾: (غوي) أصلٌ يدلُّ على خلافِ الرُّشدِ؛ ومِنْ ذلكَ: الغيُّ، وهو الجهلُ الناشئُ مِن اعتقادِ الإنسانِ اعتقادًا فاسدًا[2]، والضَّلالُ والخيبةُ أيضًا. والغاوي: هو الضّالُّ المُنهمِكُ في ضلالِهِ، بحيثُ لا يردُّهُ شيءٌ[3]. والمرادُ بالإغواءِ هنا: الإضلالُ[4].

2) ﴿ٱلْمُخْلَصِينَ﴾: (خلص) أصلٌ يدلُّ على تَنقيَةِ الشَّيءِ وتهذيبِهِ؛ ومِنْ ذلكَ: التَّخليصُ، وهو التَّصفيةُ[5]. وخُلوصُ الشَّيءِ: عدمُ الشِّركةِ فيهِ[6]. والمرادُ بالمخلَصينَ هنا: الَّذينَ أخلصَهم اللّهُ تعالى للعبادةِ[7]، وبكسر اللّام (المخلِصين): الذين أخلصوا دينَهم للّه.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

مجاهرةُ إبليسَ بعداوةِ البشرِ، ونجاةُ المخلصين مِن إغوائه

يُخبِرُ اللّهُ تعالى عمّا قالَهُ إبليسُ بعدَ إعلامِهِ بإنظارِهِ، قالَ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 16/ 426.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة، والراغب، المفردات: (غوي).
(3) الجوهري، الصحاح، والسمين، عمدة الحفاظ: (غوي).
(4) المراغي، تفسير المراغي: 23/ 137.
(5) ابن فارس، مقاييس اللغة، والزمخشري، أساس البلاغة: (خلص).
(6) الخليل، العين، والسمين، عمدة الحفاظ: (خلص).
(7) المراغي، تفسير المراغي: 23/ 137.

إبليسُ: فبقدرتِكَ وسلطانِكَ وقهرِكَ لَأُضِلَّنَّ بني آدمَ أجمعينَ بتزيين المعاصي، إلّا مَنْ أخلصتَهُ مِنهُم لعبادتِكَ، واصطفيته لإخلاص دينك، وعصمتَهُ مِنْ إضلالي، فلا سبيلَ لي عليهِ.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

عِلَّةُ الفصلِ:

مقامُ المحاورات مَـقـامُ فـصـلٍ لا وصلٍ

فُصِلَ قولُ اللهِ جلَّ شأنُهُ: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ عمّا قبلَهُ لِما بينَهما مِنْ شِبْهِ كمالِ الاتِّصالِ، لأنَّهُ استئنافٌ بيانيٌّ جوابًا عن سؤالٍ مُقدَّرٍ نشأ ممّا سبقَ، كأنَّهُ قيلَ: (ماذا قالَ إبليسُ بعدَ أنْ أنظرَهُ اللهُ تعالى؟) فقيلَ: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ﴾ الآية[1]؛ ومقامُ المحاوَراتِ مقامُ فصلٍ.

نكتةُ صيغةِ الماضي:

عُبِّرَ بصيغةِ الماضي في قولِه تعالى: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ للدَّلالةِ على أنَّ توعُّدَ إبليسَ بإغواءِ آدمَ وذرّيَّتِهِ قد تحقَّقَ، ومضَى؛ كما هو الشَّأنُ عندَ حكايةِ القصصِ والأخبارِ السّابقةِ.

دلالةُ فاءِ ﴿فَبِعِزَّتِكَ﴾

الفاءُ في قولِ اللهِ تعالى: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ لترتيبِ مضمونِ الجملةِ على الإنظارِ[2]، أو على أمرِ اللهِ إيّاهُ بالخروجِ مِنَ الجنَّةِ، وعقابِهِ إيّاهُ باللَّعنةِ الدّائمةِ[3].

دلالةُ باءِ ﴿فَبِعِزَّتِكَ﴾

عزمُ إبليسَ على إغواءِ بني آدمَ

الظّاهرُ أنَّ الباءَ في قولِ اللهِ تعالى: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ للقَسَمِ[4]؛ وقد أقسمَ إبليسُ اللَّعينُ بسلطانِ اللهِ تعالى

(1) البقاعي، نظم الدرر: 16/ 425.
(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 7/ 238، والآلوسي، روح المعاني: 12/ 218.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 305.
(4) أبو حيان، البحر المحيط: 9/ 175.

وقَهْرِهِ للتَّنبيهِ على قيامِه بالمُقسَمِ عليهِ دونَ تخلُّفٍ[1]، وبيانِ أنَّهُ عازمٌ عليهِ عزمًا قويًّا، لا يلويهِ عنهُ صارفٌ.

بلاغةُ الإضافةِ في (عِزَّتِكَ):

أُضيفَتِ العزَّةُ إلى ضميرِ الخطابِ الرّاجعِ إلى اللّهِ في قولِهِ: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ لتفخيمِ شأنِها وتعظيمِهِ، فهي عزَّةُ العظيمِ القديرِ الَّذي لا يُعجِزُه شيءٌ، ولا يتخلَّفُ عن مرادِهِ شيءٌ.

سرُّ القسمِ بصفةِ العزَّةِ دونَ غيرِها:

لا يقدرُ إبليسُ على الإغواءِ إلّا بتقديرِ اللهِ لهُ

أقسمَ إبليسُ اللَّعينُ في قولِهِ: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ بصفةِ العزَّةِ مِنْ بينِ الصِّفاتِ لأنَّها هي المناسبةُ لما قصدَهُ مِنَ الإغواءِ[2]؛ فعزَّةُ اللّهِ هي العزَّةُ الكاملةُ الَّتي لا تختلُّ حقيقتُها، ولا يتخلَّفُ سلطانُها. وقسمُ إبليسَ بها ناشئٌ عن علمِهِ بأنَّهُ لا يستطيعُ الإغواءَ إلّا بتقديرِ اللّهِ لهُ، ولولا ذلكَ لم يستطعْ نَقْضَ قدرةِ اللّهِ[3].

توجيهُ المتشابهِ اللَّفظيِّ:

غوايةُ إبليسَ من آثارِ حكمةِ اللهِ وعزّتِه

تشابهَتْ هذهِ الآيةُ معَ قولِهِ تعالى في سورةِ الأعرافِ: ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾﴾ [الأعراف: 16]، وقولِهِ في الحجرِ: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [الحجر: 39 - 40].

ولا تنافيَ بينَ القسمِ بعزَّةِ اللّهِ هنا، والقسمِ بإغوائِهِ في الأعرافِ والحِجرِ؛ لأنَّ إغواءَهُ تعالى إيّاهُ أثرٌ مِنْ آثارِ قدرتِهِ تعالى وعزَّتِهِ، وحكمٌ مِنْ أحكامِ قَهْرِهِ وسلطانِهِ، فمآلُ الإقسامِ بهما واحدٌ. ويحتملُ أنْ يكونَ قد أقسمَ بهما جميعًا، فحُكيَ تارةً قسمُهُ بأحدِهما، وأخرى بالآخرِ[4].

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 306.
(2) القونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 16/ 456.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 306.
(4) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 7/ 238.

غرضُ توالي المؤكِّداتِ:

فَرْطُ ثقةِ إبليسَ بقدرتِهِ على الإغواءِ

أُكِّدَ قولُ اللهِ تعالى حكايةً عن إبليس: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ بالقسم، واللّامِ الواقعةِ في جوابِ القسمِ، ونونِ التَّوكيدِ الثَّقيلةِ، وبأجْمَع: للإنباءِ عن فَرْطِ ثقةِ إبليسَ اللَّعينِ بقدرتِهِ على إغواءِ آدمَ وذرّيَّتِهِ، والدَّلالةِ على أنَّهُ عازمٌ على ذلكَ عزمًا بالغًا؛ لأنَّه وجد في نفسه أنَّ اللهَ أقدَره على القيام بالإغواء. ويؤكِّد هذا قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾﴾ [الحجر: 39].

نكتةُ صيغةِ المضارعِ:

عزْمُ إبليسَ على مواصلةِ الإغواءِ وتجديده

عُبِّرَ بصيغةِ المضارعِ في قولِ اللهِ تعالى حكايةً عن إبليسَ ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾: للدَّلالةِ على أنّ إغواءَهُ أمرٌ مستقبليٌّ بالنِّسبةِ لزمنِ هذا الكلامِ، ولبيانِ عَزمِ إبليسَ على مواصلةِ الإغواءِ وتجديدِهِ، بحيثُ لا يتوقَّفُ عنهُ. وفي ذلكَ مزيدُ تقبيحٍ لفعلِهِ، ومزيدُ تحذيرٍ لآدمَ وذرّيَّتِهِ منهُ.

دلالة ضميرِ الغائبين:

آدمُ وذرّيَّتُهُ أعداءُ إبليسَ

ضميرُ جمعِ الغائبين في ﴿لَأُغْوِيَنَّهُمْ﴾ من قول الله تعالى ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ راجعٌ إلى آدمَ وذرّيَّتِهِ[1]؛ فهُم أعداءُ إبليسَ الَّذينَ يحرصُ على اغوائِهم، وتزيينِ الباطلِ لهُم.

وممّا يُذكرُ في بلاغة التَّعبير بهذا الضَّمير أنَّه يشمل الذُّرّيَّة الغائبة الَّتي لم توجد بعد عند خلقِ آدم ﷺ؛ لذلك عبَّر عنهم بضمير الغائب. وفي هذا التّعبيرِ إشارةٌ إلى ما يَكمُنه إبليسُ وذريتُه من الشرِّ الدائم لذرّيَّة آدم، والحِقد المستمرِّ إلى يوم البعث والمعاد.

سرُّ التَّعبيرِ بـ ﴿أَجْمَعِينَ﴾:

ضراوةُ إبليسَ بالإغواءِ

جيءَ بـ ﴿أَجْمَعِينَ﴾ في قولِ اللهِ تعالى: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 7/ 238.

﴿أَجْمَعِينَ﴾ للتَّأكيدِ[1]، للتَّنبيهِ على ضَراوةِ نفسِ إبليسَ بالشَّرِّ والإضلالِ؛ لأنَّ إغواءَ النّاسِ كلِّهم هو أشدُّ أحوالِ غايةِ المُغوي[2]، ولا يعزمُ عليهِ إلّا مَنْ تمحَّضَ للشَّرِّ والإفسادِ.

بلاغةُ الاستثناءِ:

ظُهورُ الصِّدقِ على لسانِ الكَذوبِ من لُطفِ اللهِ بعبادِه

استثنى إبليسُ من جملةِ المُغوَينَ بقولِهِ: ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ لئلّا يقعَ في كلامِهِ الكذبُ؛ لأنَّهُ لو لم يذكرْ هذا الاستثناءَ، وادَّعى أنَّهُ يغوي الكلَّ لكانَ يظهرُ كذبُهُ حينَ يَعْجِزُ عن إغواءِ عبادِ اللّهِ الصّالحينَ[3]. وقد جعلَ المُغوَينَ هم الأصلَ، ثمّ استثنَى منهُم عبادَ اللّهِ المُخلَصينَ: لأنَّ عزيمتَهُ منصرفةٌ إلى الإغواءِ، فهو الملحوظُ ابتداءً عندَهُ[4]. وفي هذا الاستثناء دلالةٌ على عناية اللّه تعالى بعباده المخلصين، فلم يمكِّن عدوَّهم منهم، ولم يجعل له عليهم سلطانًا.

سرُّ التَّعبيرِ بالعبادِ:

لفظُ العبادِ خاصٌّ بعبادِ اللهِ

عُبِّرَ بالعبادِ دونَ العبيدِ في قولِه: ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ لأنَّ لفظَ العبيدِ يُطلَقُ على عبيدِ اللّهِ، وعلى عبيدِ النّاسِ، ولفظَ العبادِ خاصٌّ بعبادِ اللّهِ[5]؛ وهو الأنسبُ بمقامِ التَّنصيصِ على خلوصِهم للّهِ تعالى. وفيه إشارةٌ إلى أنّ عبادَ اللّه من عصى الشيطانَ؛ أمّا الذين أطاعوه وسلكوا سبيلَ غوايتِه فإنّما هم عبيدٌ لإبليسَ ولأهوائهم.

بلاغةُ الإضافةِ في ﴿عِبَادَكَ﴾:

شرفُ العبوديَّةِ لمَنْ أطاعَ اللهَ

إضافةُ العبادِ إلى ضميرِ الخطابِ الرّاجعِ إلى اللّهِ تعالى في قولِهِ: ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ للتَّنبيهِ على أنَّ غيرَهم مِنَ العُصاةِ

(1) القونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 16/ 456.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 14/ 50.
(3) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 26/ 415.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 14/ 50.
(5) السامرائي، لمسات بيانية، ص: 585، وانظر للتوسع: زيدان، الفروق اللغوية، ص: 694 - 695.

قد انسلخَ مِنَ التَّشرُّفِ بعبوديَّةِ اللهِ تعالى، بخلافِ مَنْ أطاعَهُ[1]. وفيها دلالةٌ على تشريفِهم واختصاصهم بهذه المنزلةِ دون غيرِهم، لأنَّهم ذُكِروا في مقام الخطاب والحضور.

معنى (مِنْ):

المُخلَصونَ هم عبادُ اللهِ حقًّا

(مِنْ) في قولِهِ ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ للتَّبيينِ، أي بيانِ عبادِ اللهِ بأنّ المرادَ منهم بنو آدم مطلقًا؛ وإنّما ينجو من جملتهم المخلِصون للّه، المخلَصون باللّه. وعلى التَّبعيضِ يكون المعنى: أنَّهم جزءٌ مِن كلٍّ، فالعباد جزءٌ مِنَ العبيد، وعباد اللّه حقًّا إنّما هم المخلصون منهم.

غرضُ تقديمِ ﴿مِنْهُمُ﴾:

قُدِّمَ ﴿مِنْهُمُ﴾ في قولِهِ: ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ للاهتمامِ بالمُقدَّم، والتَّشويقِ إلى المُؤخَّر، ورعايةِ الفاصلةِ؛ وفيه تنبيهٌ إلى ما يميّزهم عن سائر البشريّة، ممّا يحصِّنهم من إغواء إبليس.

توجيهُ قراءتَي ﴿ٱلْمُخْلَصِينَ﴾

أهلُ الطّاعةِ اختصَّهم اللهُ بطاعتِهِ وخُلوصِ قلوبِهم لهُ

قرأ ابنُ كثيرٍ وأبو عمرٍو وابنُ عامرٍ ويعقوبُ: (المُخلِصينَ) بكسرِ اللّامِ في الآية ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾، وقرأ الباقونَ بفتحِها[2].

أمّا قراءةُ الكسرِ فهي للدَّلالةِ على أنَّهم أخلصوا قلوبَهم للّهِ، وصانوها عن الشِّركِ والرِّياءِ؛ وأمّا قراءةُ الفتحِ فهي للدَّلالةِ على أنَّ اللّهَ تعالى قد أخلصَهم لطاعتِهِ، وعصَمَهم مِنَ الضَّلالةِ[3]. والقراءتان متكاملتان، لأنَّ من أخلَصه اللّهُ، وامتنَّ عليه: كان نتيجةَ اصطفاءِ اللّه له أن يُخلِصَ عبادتَه له.

(1) البقاعي، نظم الدرر: 16/ 427.
(2) ابن الجزري، النشر: 2/ 295.
(3) البيضاوي، أنوار التنزيل: 5/ 35، وابن التمجيد، حاشية على تفسير البيضاوي: 16/ 456.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الضَّلالُ والغَيُّ والإغواءُ:

حقدُ إبليسَ على آدمَ وذرّيّتِهِ

الضَّلالُ يقالُ لكلِّ عدولٍ عنِ المنهجِ، عمدًا كانَ أو سهوًا، يسيرًا كانَ أو كثيرًا[1]. والغيُّ: جهلٌ مِن اعتقادٍ فاسدٍ؛ لأنَّ الجهلَ قد يكونُ مِنْ كونِ الإنسانِ غيرَ معتقِدٍ اعتقادًا لا صالحًا ولا فاسدًا، وقد يكونُ مِن اعتقادِ شيءٍ فاسدٍ[2]. والإغواءُ: الإضلالُ الشَّديدُ.

وقد عُبِّرَ بالإغواءِ هنا للدَّلالةِ على الحِقدِ الشَّديدِ الكامنِ في نفسِ إبليسَ على آدمَ وذرّيَّتِهِ؛ فهو لا يرضَى بصرفِهم عن طريقِ الحقِّ فقطْ، بل يريدُ - كما يدلُّ لفظُ الإغواءِ في الأصلِ - أنْ يجعلَهم مُنغمِسينَ في الباطلِ، مُنهمِكينَ فيهِ، لا يردُّهم عنهُ شيءٌ.

(1) السمين، عمدة الحفاظ: (ضلل).

(2) الراغب، المفردات: (غوى).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد التاسع والأربعون،
سورة الصّافّات من الآية 145 إلى سورة الزُّمر الآية 04
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد التاسع والأربعون، سورة الصّافّات من الآية 145 إلى سورة الزُّمر الآية 04
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 49 ، 812 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-641-51-3
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 49 : المجلد التاسع والأربعون، سورة الصّافّات من الآية 145 إلى سورة الزُّمر الآية 04.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-641-51-3
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-1524626 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»